عن الإعلام والترويح والأفلام والروايات والقصص والمشاهدة العائلية ... وغيرها
كلمات في فقه الصورة، كنموذج للمُدخَلات، وآثارها على النفس والمجتمع

يكثر السؤال عن مخرجات الإعلام بمختلف صوره
ويتبع ذلك بالضرورة السؤال عن مشاهدة المواد الإعلامية والترويحية مع الأطفال أو غيرهم

وللحديث تفصيل وشرح، ولكن باختصار أقول:
الأصل أن النفس تبحث عما تلذ له ويريحها ويمتعها
ويتبع هذا، بالضرورة، ميل النفس إلى تحصيل اللذة بأقل قدر ممكن من الجهد

لكن الأصل، أيضا، أن النفس في حاجة لما يزكيها

ومن هنا، تتردد النفس بين أمرين:
الأول) إلقاء ذاتها أمام منتجات الإعلام السهلة والمريحة
الثاني) إمساك ذاتها عما يدنو بهمتها ويعوق تزكيتها

ولا شك أن منتجات الإعلام الحديث: السينما والصور المتحركة وغيرها
لا شك أن هذه المنتجات تحمل كمّا من المحُدخَلات = المثبطات والمشتتات والملذات
كل هذه المُدخَلات من شأنها أن تعوق التزكية

كما لا شك أن الأسرة والأهل والتربية والتعليم وما يتعلق بها من تطبيقات حياتية =
كل هذا متأثر بعالم عولمي يسوّق لفكرة أن الأصل في وجودنا الترفيه والترويح والمتعة
It is all about entertaining; It is all about fun
كما يسوّق لفكرة أن الأصل في وجود الأطفال العبثية وغياب الهدف والهزل
فإن كان ثمة هدف، فهو التفوّق الأكاديمي، أو تحصيل لقمة العيش، وحبذا تحقيق الحلم الأمريكي

والسؤال هنا: من هو رسول العالم العولمي والمتحدث الرسمي باسمه؟
وبعبارة أخرى: من هو المسوّق لثقافة "لا إله" = ثقافة لا علاقة لها بالدين ومقاصد الشريعة والوحي؟

إنه الإعلام، وخصوصا إعلام هوليوود وما يتبعه ومن يتبعه
وأخصّ منهم ضحايا المعجبين من أواخر جيل القرن الميلادي العشرين، وبواكير جيل الألفية الميلادية الثالثة:
روّاد نوادي التواصل الاجتماعي، وصنّاع المحتوى الرقمي، والمدوّنين، وغيرهم من متصدري شبكات العالم الوهمي

ولعل أي نظرة منصفة لواقع محتوى ما يقدمه مشاهير الترويح الرقمي، على منصة يوتيوب تحديدا =
تُطلِعنا على واقع أن اللغة الرائجة والسهلة والمسوّقة للمحتوى بشكل أسرع = هي لغة هوليوود وفراخها
وأعني بفراخها هنا: الأفلام العربية والمسلسلات المحلية والمُدبلجة، وغيرها

فإذا علمنا أن المنتج الإعلامي عموما، والمنتج الهوليوودي خصوصا، ليس مجرد إضاءة وصورة متقنة فقط
بل هو كل ما يصدر عن الصورة وفيها، المتكلفة والمدبرة والموهِمة، من أفكار وشخوص ومعتقدات = نمط حياة
وإذا علمنا أن الإعلام يؤكد ويركز ما هو منثور أصلا في الشارع والسوق والمقهى والمدرسة وغيرها
خصوصا إذا كان الاثنان: محتوى الإعلام ومحتوى الحياة اليومية، يصدران عن عالم إلحادي وعولمي واحد
وبالتالي فلا عجب من طلب طفلة أن تنقش وشما على جسدها
ولا عجب من طلب طفل أن يكون نجم غناء، بغض النظر عن سقوطه في مناحي شخصية أخرى
ولا عجب من نقاش يافعة لوالدها فرضية الحجاب الشرعي

ولا عجب من نقاش يافع لأهله حرمة اصطحاب زميلته إلى حفل عيد ميلاد أو مشاهدة فيلم في السينما
أو غيرها من مطالب ما هي إلا نتائج تأثر بعالم عولمي بعيد عما أراده الله من خلقه

وإذا علمنا أن على وجه الأرض من لا تكاد تكون لهم علاقة بالإعلام ومنتجاته، خصوصا منتجات هوليوود
ومع ذلك، فهم يحيون حياة سوية طيبة مطمئنة
ولا يضيرهم، ولا يضرهم شيئا، جهلهم بهذا العالم الوهمي

إذا وضعنا كل ما سبق في الاعتبار، حينها أقول لكم وأنا قرير العين مطمئن النفس:
- الأصل أن تحيا النفس حياة تنطلق من الوحي أولا، وآخرا، في كل تصوراتها للحياة وما فيها، من الألف إلى الياء
- والأصل أن تحيا النفس حياة حرة، حرية حقيقية = عبودية لله وحده
والإلا، صارت النفس مستعبدة لعالم خلقه مخلوق أو مخلوقة، لا يخرجان عن إحدى هذه الحالات:
إما جهل بالوحي وما فيه من كفاية للنفس في سعيها إلى سعادة الدارين
ومن الجهل ما يعانيه كثير ممن نعرفهم باسم: أهل الفن، من التيه أو الضياع أو المعاناة في صورها المتعددة
ومن الجهل، أيضا، ظن النفس بأن هذا من نصرة الدين بالموهبة التي وهبها الله إياها، مع فقدان البوصلة
ويلحق بالجهل، في رأيي، اعتقاد البعض أن الفن بصورته الحداثية هو انعكاس لشعر حسان بن ثابت في نصرة الدين
وإما هوى يُضعف النفس، فتزهد بمادة الوحي، وتتكابر عليها، في حين تتصاغر أمام مادة المخلوقين
وإما لعب واشتغال بما قد يلهي النفس عن مراد الله منها، وإن تلبس ذلك اللعب بلبوس تجديد الخطاب والدعوة
- والأصل أن تحيا النفس عالم الواقع، بما فيه من فشل حقيقي ومعوقات حقيقية وهدايات حقيقية
- والأصل أن تحيا النفس في غنى عن عالم الوهم وما يصدر عنه من مخرجات ومنتجات
بل ربما كانت تلك المُخرَجات والمنتجات سببا في اضطرابات كثيرة وعلل نفسية، لاحقا
- والأصل أن تحيا النفس قصتها الشخصية، حيث بصمتها النفسية التي تترك آثارها في خلافتها على هذه الأرض
والإلا، صارت النفس شيئا هامشيا، يعيش، ولا أقول: يحيا، على هامش قصص الآخرين: ممثلين وكتاب وشخوص

فإن كان ولا بد، وهذا يحتاج إلى تجرد وصدق وقوة، فهناك ضوابط كثيرة:

1) الأصل في وجود النفس الجد والمسؤولية والواقعية؛ هذا هو الأصل، حتى لو كنا نتحدث عن أطفال
والإلا وقعت النفس في فخ مركزية الإنسان والمتعة والهزل، وصار هذا هو الأصل في وجودها لاحقا عندما تكبر
ومن هنا، فإن الأصل الاطلاع على المواد الحقيقية والحقة، التي تقدم حقا وصدقا وواقعا
وفي قصص القرآن، وقصص الأنبياء، والسيرة النبوية، وقصص الصحابة والتابعين والصالحين = كفاية
ولا بأس بعدها بالقصص الحقيقية النافعة من الأمم الأخرى والثقافات المختلفة

2) الترويح المباح والمتعة النافعة = هي الأصل؛ والأنشطة النفسية: جسدية وروحية، كثيرة.
ولتعلموا، يقينا، أن هناك على وجه هذه الأرض وفي المدن العولمية من حولكم من يستمتعون متعة حقيقية بعيدا عن كثير مما يظنه ضحايا العولمة ضرورة للنفس!

3) إعداد النفس والأبناء والبنات بما لا يسعهم جهله في هذا الباب:
- طبيعة الإعلام الوهمي والصورة المصنوعة صناعة غير طبيعية: كتابة وسيناريو وتصوير وتمثيل وغيرها
- طبيعة العاملين في مجال الإعلام عموما، وإعلام هوليوود وما يشبهه خصوصا، الذين لا يمثلون قدوة حسنة
- الفساد ليس مجرد فساد الجنس والعري، بل إن فساد الثقافة والفكرة ونمط الحياة = أخطر وأعظم

4) مباعدة المشاهدة قدر الإمكان. وأنا لست مع مشاهدة مادة أسبوعيا مثلا، فضلا عن مادة يومية

5) السؤال عن المحتوى ومراجعته مراجعة دقيقة قبل المشاهدة، وأحيانا السؤال عن صانعي المحتوى أيضا

6) القصص الواقعية خير من غيرها، والبعد قدر الإمكان عن أفلام الرسوم المتحركة والخوارق والخيال العلمي ...

7) مناقشة المحتوى كيلا يتحول الأمر إلى مجرد ترفيه ومتعة وهزل

ولعلي أختم بأسئلة أوجهها لنفسي أولا، وأنصحك بتوجيهها لنفسك ثانيا:

1) هل أعرف ماذا أريد؟ وهل أسعى حقا للوصول إليه في مواطنه الصحيحة؟
2) هل أعرف ما لا يسعني جهله من أمر ديني؟ هل أعرف من أنا ولم أنا؟
3) هل أعرف الإجابات من الوحي أولا؟ وهل أنا على علاقة طيبة بالوحي ومادته: قرآنا وسنة؟
4) أيهم أنا أشد معرفة بهم: أنبياء الله والصحابة والتابعون؟ أم أبطال الأفلام والروايات والقصص؟
5) هل أنا مطمئن أو مطمئنة إلى ما أراه أو أشاهده أو أقرأه؟ أم هو مجرد حيلة نفسية للهرب من اضطراباتي؟
6) هل أرجو أن أموت وأبعث وأنا على حالتي وأنا أرى أو أشاهد أو أقرأ مادة معينة؟
7) هل أرجو أن يكون رسول الله، صلى الله عليه وسلم، معي وأنا أفعل ما أفعله؟
8) هل أرجو أن يبقى ما أراه أو أشاهده أو أقرأه في صحيفة أعمالي يوم ألقى خالقي؟
9) ماذا سأقرأ إذا قيل لي يوم القيامة: ((اقرأ وارتق))؟! وهل سيكون حظي من الوحي أقل أو أكثر من كلام المخلوقين؟

هذا باختصار شديد
وقد أرجأت هنا الحديث عن مشاهدات العيادة النفسية من ضحايا الأفلام والروايات والمسلسلات
وذلك أني لم أفرغ بعد من مراجعة الإحصاءات والأرقام والحقائق المتعلقة بخطورة هذه العوالم الوهمية

مع اعتقادي أن إمساك النفس عن علوم لا تنفع، وربما تضر = هو الأصل
وتذكروا أن المَلَكَين لن يسألا في القبر عن كثير مما نظنه مهما، ونضيع فيه أعمارا

اعتراض: ولكن الداعية الفلاني، والدكتور الفلاني، والشيخ الفلاني = ينصحون بأفلام وروايات ومسلسلات؟!
جوابي: هذا سؤال يوجه لهم هم، وأرجو منهم، هم، الإجابة عليه بكل صراحة، وأن يعدوا له جوابا أمام خالقهم

والله إنها أمانة
والله المستعان

سؤال: ولكن ماذا عن القصة وأثرها من منظور نفسي؟

لا شك في أثر القصة على النفس، إيجابا وسلبا
وهذا أمر أقرّه القرآن من قبل، وتبعه في ذلك أهل الاختصاص من بعد

وكما نقرر في [فقه النفس]، فإن النفس تميل إلى القصة لأكثر من سبب:
أولا) فطرة الأمن، الناتج عن المعرفة، خصوصا إذا كانت المعرفة تلامس النفس بشكل شخصي ومباشر
ثانيا) فطرة الأنس؛ حيث تستأنس النفس بشخصيات القصة التي سرعان ما تصير أصحابا للنفس ورفاقا

ثالثا) فطرة الفضول لمعرفة المجهول؛ أو ما نعرفه اليوم باسم: عامل الإثارة والتشويق

ومع أهمية القصة تربويا، لكنها انحرفت عن وجهتها التربوية
وهذا لأسباب كثيرة، منها:
- فقدان الهوية والوظيفة والهدف
- تخلف الأمة وضعفها وضياعها
- غلبة الإعلام العولمي الكافر، أو غلبة ثقافة لا إله، التي صارت مسؤولة عن توجيه الإعلام وما يصدر عنه

من هنا، رأيت أن أوجه بعض الكلمات إلى القائمين على التربية والتعليم:
في البيت والحضانة والمدرسة والمركز القرآني، وغيرها

* القرآن أولا
{إن هذا لهو القصص الحق}

على المربي أو المربية الانطلاق من القصص القرآني أولا
ولا يغيب عن القارئ أو القارئة الأثر السالب الناتج من كثير مما توارثناه من قصص ظهرت في صور كثيرة:
الأساطير والإعلام والخرافات والخيال، العلمي وغير العلمي، والرسوم المتحركة وغيرها
بل حتى قصص الأطفال التي نراها بريئة، ربما حوت من الأفكار السالبة الشيء الخطير
ولكن الانطلاق من القصص القرآني لا يكون عبثا، بل يحتاج إلى علم بالقصة وفنونها

* لسان عربي مبين؛ هذا هو الأولى في حكاية القصة

مهما أسأنا الظن باللغة العربية أو بقدرتنا نحن على النطق بها أو بقدرة أطفالنا على فهمها والنطق بها =
فإن هذا لا يعبر عن الحق ولا عن الحقيقة
فإذا علمنا أن الكيان الصهيوني لم يقم حتى استند على اللغة العربية لإحياء اللغة العبرية التي ماتت لقرون =
لم يجز لنا أن نميت لغة القرآن لأننا أموات، ولن تقوم أمة إسلامية وهي تقبر لغة أجيال نريد لها أن تكون حرة

باختصار: أنصح البدء باللغة العربية، ثم شرحها بالدارجة الع امية، وبصور مختلفة

* القصة لها أغراض كثيرة ومقاصد، منها الترويح، ولكن التربية والتعليم هما الأولى هنا

من هنا، على المربي أو المربية التوجه إلى الأهداف التربوية من كل قصة
وبعج هذا، علينا أن نربط تلك الأهداف بحياة الطفل أو الطفلة، وتفاصيلها اليومية
* قبل إعداد أو تحضير أو سرد القصة:

دراسة حالة الأطفال لمعرفة حاجاتهم النفسية: الفكرية - الشعورية - السلوكية
إعداد خطة، منهجية، في سرد القصة، وأهدافها، والدروس المستفادة منها
أنصح بالتواصل مع شركاء التربية والتعليم:
في الحضانة والروضة والمدرسة والمركز القرآني والمسجد = لإشراكهم في الأمر
فإن القصة سيكون لها أثر حقيقي إذا تركزت معانيها في أكثر من موطن من مواطن التربية والتعليم

أنصح بتقسيم الدروس المستفادة إلى:
- دروس إيمانية / عقلية: استثارة العقل وتثبيت الإيمان أو تعزيزه
- دروس أخلاقية / سلوكية

من الجيد أن أشوّق الأطفال للقصة القادمة من خلال أساليب متعددة:
- تكليفهم أن يتقمصوا دور شخصيات القصة لتقديمها
- تكليفهم بحفظ الآيات القرآنية المتعلقة بالقصة، أو توزيعها عليهم
- سؤالهم عن الدروس المتوقعة من القصة القادمة

* عند حكاية القصة:

- حكاية القصة بأسئلة مثيرة ونهايات مفتوحة
- التوقف، كثيرا، عند اللحظات الفارقة في سير القصة، وسؤال الأطفال: ما الذي سيحصل الآن؟!
- النظر في عيون الأطفال، ومحاولة تشخيص حالات المحتاجين منهم، لتوجيه القصة توجيها شخصيا مباشرا

* بعد حكاية القصة:

- تحويل القصة إلى أنشطة عملية
- إشراك الأهل في ذلك
- متابعة الفوائد متابعة حياتية من خلال السلوك اليومي

آنسكم الله ونفع بنا وبكم

عبدالرحمن ذاكر الهاشمي
طبيب، استشاري علم النفس التربوي، استشاري العلاج النفسي